رمضانيات

إعداد: ليلي الشافعي

الاعتبار

حوى الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الكثير من المواعظ والعبر، وفيه عبرة لمن اعتبر، ومزدجر لمن وعى وادكر، وكفاية لمن تفكر في آياته وتدبر، وذكرى لمن كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد.

قال تعالى: (فاعتبروا يا أولي الأبصار.. الحشر: 2) في الآية الكريمة توجيه النظر إلى من فعل ما فعل فعوقب بما عوقب به، فتجنبوا مثل صنيعهم لئلا ينزل بكم مثل ما نزل بأولئك.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو المسلم إلى الاعتبار بالمشاهدات ومن ذلك قول الله تعالى: (قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار.. آل عمران: 13).

وقال سبحانه: (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون.. البقرة: 164).

فالآية في السماوات سمكها وارتفاعها من غير عمد ولا علاقة وما ترى فيها من الشمس والقمر والنجوم، والآية في الأرض مدها وبسطها وسعتها وما ترى فيها من الأشجار والأنهار والجبال والبحار والجواهر والنبات، واختلاف الليل والنهار. أي: تعاقبهما في الذهاب والمجيء يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه واختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان. وهذه الفلك التي تجري في البحر يعني السفن في تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقرة لا ترسب تحت الماء (بما ينفع الناس) يعني ركوبها والحمل عليها في التجارة والمكاسب وأنواع المطالب، وما أنزل الله من السماء من ماء يعني المطر يخلق الله تعالى الماء في السماء، ثم ينزل من السماء إلى السحاب ثم من السحاب ينزل إلى الأرض (فأحيا به) أي بالماء (الأرض بعد موتها) أي بعد يبوستها وجدوبتها (وبث فيها) أي فرق فيها (من كل دابة وتصريف الرياح) تصريفها أنها تارة تكون لينا وتارة تكون عاصفا وتارة تكون حارة وتارة تكون باردة (والسحاب المسخر) أي الغيم المذلل سمي سحابا لأنه ينسحب أي يسير في سرعة كأنه يسحب أي يجر (بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقا وصانعا.

وقال عز وجل (سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم. هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار.. الحشر: 13).

وهناك اعتبار بالمرويات قال تعالى: (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون.. يوسف:111)، وقال الله جل شأنه: (هل أتاك حديث موسى. إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى. اذهب إلى فرعون إنه طغى. فقل هل لك إلى أن تزكى. وأهديك إلى ربك فتخشى. فأراه الآية الكبرى. فكذب وعصى. ثم أدبر يسعى. فحشر فنادى. فقال أنا ربكم الأعلى. فأخذه الله نكال الآخرة والأولى. إن في ذلك لعبرة لمن يخشى.. النازعات: 15ـ26).

مجموعة من آيات من القرآن الكريم اخترناها من بين آيات كثيرة كلها تدعونا كي نعتبر وذلك لما في الاعتبار من فوائد عظيمة تعود على كل معتبر من الناس.

والاعتبار هو التدبر وقياس ما لم يحصل على ما حصل وهو الاتعاظ بالذي نراه إن دققنا النظر في جميع شؤون حياتنا. وخلاصته أن نتجنب ما يؤذينا في الدنيا والآخرة بعد أذى غيرنا، وأن نعرف أن الدنيا فانية وكل من عليها فان، فعلينا إن أردنا النجاة ألا نتمسك بما يفنى ونتصرف في حياتنا الدنيا على أن بقاءنا مؤقت وعمرنا محدود، وعلينا أن نعتبر بما جرى لغيرنا من خير، كي نأخذ به وبما جرى لغيرنا من شر، كي نتجنبه وذلك لقصر العمر الذي نقضيه على هذه الأرض فهو لا يتسع لنا كي نأخذ العبرة مما يحصل معنا فلابد من الاعتبار بما يحدث للغير من خير وشر.

قال الناظم:

في كل شيء عبرة لمن عقل
قد يسعد المرء إذا المرء اعتدل

إخواني: الدنيا دار عبرة فإذا ما وقع فيها سرور فإننا لا نأمن أن يأتي بعده حزن، ودوام الحال من المحال أين من عاشرناه كثيرا وألفنا، أين من ملنا إليه بالوداد وانعطفنا، مضوا جميعا وكأنهم ما كانوا، وعزاؤنا فيهم أنهم السابقون ونحن اللاحقون بهم إن شئنا أو أبينا. أما ضر أهله التسويف، وها نحن قد سوفنا. فأين منا الاعتبار؟

ومن الأحاديث الدالة على الاعتبار ما رواه مسلم «1022 عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال رجل: لأصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد زانية فأصبحوا يتحدثون. تصدق الليلة على زانية. قال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون. تصدق على غني، قال: اللهم لك الحمد على غني، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون. تصدق على سارق. فقال: اللهم لك الحمد على زانية وعلى غني وعلى سارق. فأتي، فقيل له: أما صدقتك فقد قبلت. أما الزانية فلعلها تستعف بها عن زناها، ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله، ولعل السارق يستعف بها عن سرقته».

إذا أراد الله بعبده خيرا فتح له من أبواب التوبة والندم والانكسار والذل والافتقار والاستعانة به وصدق اللجوء إليه ودوام التضرع والدعاء والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات، ما تكون تلك السيئة به رحمته، حتى يقول عدو الله: يا ليتني تركته ولم أوقعه.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى:إن المؤمن ليذنب الذنب فما يزال كئيبا حتى يدخل الجنة.

ومعنى قوله: إن الذنب لايزال نصب عينيه، مشفقا منه وجلا باكيا نادما، مستحيا من ربه تعالى، ناكس الرأس بين يديه، منكسر القلب له، فيكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هذه الأمور، التي بها سعادة العبد وفلاحه، حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة. وهذا بخلاف من يفعل الحسنة، فلا يزال يمن بها على ربه ويتكبر بها، ويرى نفسه ويعجب بها ويستطيل بها، ويقول: فعلت، وفعلت، فيورثه من العجب والكبر والفخر والاستطالة ما يكون سبب هلاكه. فإذا أراد الله تعالى بهذا المسكين خيرا ابتلاه بأمر يكسره به ويذل به عنقه ويصغر به نفسه عنده، وإن أراد به غير ذلك خلاه وعجبه وكبره، وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه.

فإن العارفين كلهم مجمعون على أن التوفيق ألا يكلك الله تعالى إلى نفسك، والخذلان أن يكلك الله تعالى إلى نفسك، فمن أراد الله به خيرا: فتح له باب الذل والانكسار ودوام اللجوء إلى الله تعالى والافتقار إليه ورؤية عيوب نفسه وجهلها وعدوانها، ومشاهدة فضل ربه وإحسانه ورحمته وجوده وبره وغناه وحمده، فالعارف سائر إلى الله تعالى بين هذين الجناحين، لا يمكنه أن يسير إلا بهما، فمتى فاته واحد منهما: فهو كالطير الذي فقد أحد جناحيه.

فالعارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنة، ومطالعة عيب النفس والعمل، وهذا معنى قوله ﷺ: سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أخرجه البخاري عن شداد بن أوس رضي الله عنه.

فجمع في قوله ﷺ: أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي: مشاهدة المنة، ومطالعة عيب النفس والعمل. فمشاهدة المنة: توجب له المحبة والحمد والشكر لولي النعم والإحسان، ومطالعة عيب النفس والعمل: توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت، وألا يرى نفسه إلا مفلسا. وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى: هو الإفلاس، فلا يرى لنفسه حالا ولا مقاما ولا سببا يتعلق به ولا وسيلة منه يمن بها، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف والإفلاس المحض: دخول من كسر الفقر والمسكنة قلبه، حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع، وشملته الكسرة من كل جهاته، وشهد ضرورته إلى ربه عز وجل وكمال فاقته وفقره إليه، وأن في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة وضرورة كاملة إلى ربه تبارك وتعالى، وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك وخسر خسارة لا تجبر، إلا أن يعود الله تعالى عليه ويتداركه برحمته، ولا طريق إلى الله أقرب من العبودية، ولا حجاب أغلظ من الدعوى.

اللهم إنا نسألك من الخير كله، عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله، عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم، اللهم إنا نسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك ﷺ، ونعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك ونبيك ﷺ، اللهم إنا نسألك الجنة، وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار، وما قرب إليها من قول أو عمل.

شهر الانتصارات

نور الدين.. بطل موقعة حارم الرمضانية

يعد البطل «نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي» شخصية من شخصيات حضارتنا المعطاءة الولود.. نشأ «نور الدين» في بيت أبيه المجاهد «عماد الدين زنكي» أول شخصية حملت راية التوحيد والوحدة والجهاد، بطريقة قوية وحازمة في وجه الحروب الصليبية التي كانت قد أخضعت (الرها، وأنطاكية، وبيت المقدس، وطرابلس)... وتسعى لإخضاع (مصر) بخنوع وتواطؤ مع (الشيعة) الباطنية الإسماعيلية حكام الدولة المسماة (بالدولة الفاطمية) زورا وبهتانا، ففاطمة ـ رضي الله عنها ـ بنت سيدنا محمد ﷺ بريئة من هذه الدولة البدعية المحاربة للسنة النبوية.

وكان من آثار نور الدين الكثيرة استيلاؤه على «حارم» سنة (559هـ) من يد الصليبيين، بفضل الله ثم بسبب أخذه بالوسائل المعنوية والمادية.

لقد كان «نور الدين» يحب العلماء ويقربهم، فاكتسب منهم التقوى والزهد والتفرغ للجهاد في سبيل الله، منصرفا عن النعم الزائلة، مؤثرا النعيم الباقي، فحقق الله له الأهداف والآمال.

ولكي ندرك مدى تقوى وصلاح القائد الورع «نور الدين»، نذكر أنه قبل المعركة انفرد بنفسه تحت تل من التلال، وحينما التقى الجيشان سجد لربه، ومرغ وجهه في التراب وتضرع، وقال: هؤلاء يا رب عبيدك وهم أولياؤك، وهؤلاء عبيدك وهم أعداؤك، فانصر أولياءك على أعدائك. يا رب، إن نصرت المسلمين فدينك نصرت، فلا تمنعهم النصر بسبب «نور الدين» وذنوبه.

لقد أدرك «نور الدين» أن سيطرة (الشيعة) الإسماعيلية (الفاطمية) على مصر تمثل خطرا كبيرا، لأنهم يخضعونها لمفاوضاتهم مع الصليبيين، ويتجهون لقضاء مصالحهم ولو ذهبت بلاد المسلمين إلى الجحيم، ولهذا أرسل لفتح مصر جيشا بقيادة «أسد الدين شيركوه».

لكن الصليبيين وقفوا مع إخوانهم الإسماعيلية، فأرسلوا قوة لمحاصرة قوات «نور الدين» بقيادة «شيركوه»، وضيقوا عليه الخناق، فطلب العون من نور الدين في الشام، وأدرك «نور الدين محمود» أن مهاجمة الصليبيين في الشام يجعلهم ينسحبون من مصر، فأرسل يطلب المجاهدين، واجتمع له جمع غفير سار بهم إلى قلعة (حارم).

ولما علم الصليبيون بذلك جمعوا جيوشهم وساروا للقائه في أعداد عظيمة، والتقى الجمعان في شهر رمضان المبارك، ووضع المسلمون الخطط الحربية للقضاء على التفوق العددي للصليبيين، والذي كان يقوده ملوك صليبيون أربعة، ونجحت تلك الخطط نجاحا باهرا، يصفها المؤرخ المعاصر (ابن الأثير) في قوله:

«فحينئذ حمي الوطيس، وباشر الحرب المرءوس والرئيس، وقاتلوا قتال من يرجو بإقدامه النجاة، وحاربوا حرب من يئس من الحياة، وانقضت العساكر الإسلامية انقضاض الصقور على بغاث الطيور، فمزقوهم بددا، وجعلوهم قددا، وألقى (الإفرنج) بأيديهم إلى الإسار، وعجزوا عن الهزيمة والفرار، وأكثر المسلمون فيهم القتل، وزادت عدة القتلى على عشرة آلاف، وأما الأسرى فلم يحصوا كثرة، وكان منهم الملوك الأربعة».

وسار «نور الدين» فملك (حارم) في الحادي والعشرين من رمضان عام (559هـ).

وهكذا نصره الله على عدوه وملكه بلاده، فالنصر دائما من الله يهبه لعباده الصالحين الصادقين.. ونشهد أن «نور الدين» ووالده «عماد الدين زنكي» من هؤلاء العباد الصالحين. رزقنا الله عبادا صالحين يقودوننا في هذه الأيام المباركة، عبورا إلى النصر.

رمضانيات

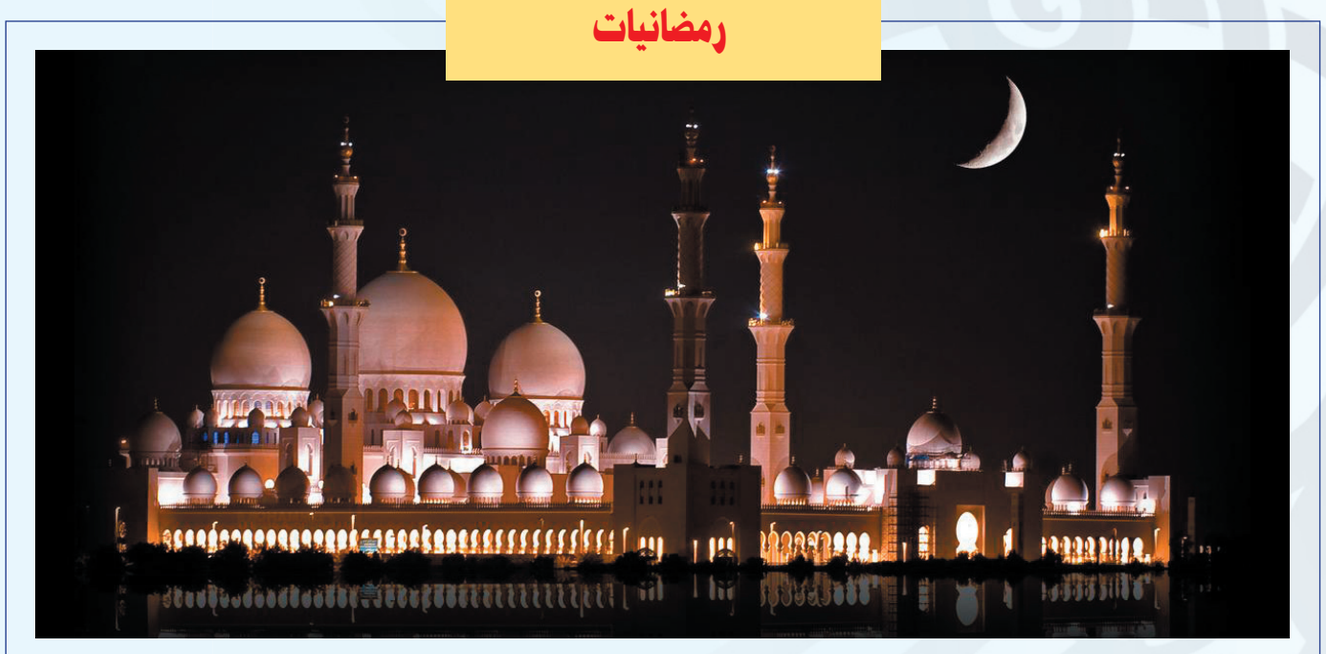

من روائع الخط العربي

حديث شريف

ديوان حلبي
للخطاط عبدالناصر المصري ـ سورية
حاول الخطاط الخروج من النمط الاعتيادي بهذا التركيب الذي يشبه الزهرة مستفيدا من امكانيات الخط الديواني الحلبي في التركيب والتشكيل.